المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ العدد السادس ـ المجلد الثاني ـ ص ص (٩ ـ ٢٤)

ظاهرة الترادف بين القدماء والمحدثين

أحمد مختار عمر

ـ قسم اللغة العربية ـ جامعة الكويت

ملخص

يعالج هذا البحث ظاهرة الترادف من وجهة نظر القدماء بإيجاز وتركيز، ويتناولها من وجهة نظر المحدثين بتحليل وتفصيل.

وقد تناول ـ بالنسبة للقدماء ـ عدة نقاط منها:
أ ـ تتبع ظهور المصطلح في عناوين الكتب.
ب ـ اختلاف القدماء في إثبات الظاهرة وإنكارها، وحجج كل فريق.
جـ ـ أهم ما كتب أو ألف حول الموضوع.

أما بالنسبة للمحدثين فقد تناول الظاهرة بعد توضيح نقطتين تمهيديتين أساسيتين هما:
أ ـ تقديم التعريفات المختلفة للمعنى، التي تعددت بتعدد المناهج.
ب ـ تفصيل أنواع المعنى عند المحدثين.

وبعد هذا عرض البحث لبعض النقاط الهامة مثل:
أ ـ التفرقة بين الترادف وأشباه الترادف.
ب ـ مفهوم الترادف الكامل عند المحدثين.
د ـ الترادف بين المثبتين والمنكرين ووجهة نظر كل منهما.

وقد انتهى البحث إلى تبني الرأي بأن الترادف ـ بمعنى التطابق التام الذي يسمح بالتبادل في كل السياقات دون فرق بين اللفظتين في جميع أشكال المعنى ـ لا وجود له؛ وبخاصة إذا نظرنا إلى اللفظتين في داخل اللغة الواحدة وفي مستوى لغوي واحد وخلال فترة زمنية واحدة.

أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساسي (وحده)، أو اكتفينا بإمكانية التبادل في بعض السياقات، أو نظرنا إلى اللفظتين في لغتين مختلفتين، أو أكثر من فترة زمنية، أو أكثر من بيئة لغوية فالترادف موجود لا محالة.

تعرض كثير من الدارسين لظاهرة الترادف من وجهة نظر القدماء[1]. ولكنه قل منهم من تناولها من وجهة النظر اللغوية الحديثة.

وقد رأينا أن نوجز أولا موقف القدماء من هذه الظاهرة، ثم نتعرض بالتفصيل لموقف المحدثين منها:

أولا: موقف القدماء

أشار سيبويه في الكتاب (١٣١٦هـ، ١/ ٧) الى ظاهرة الترادف بقوله: «اعلم أن من كلامهم.. اختلاف اللفظتين والمعنى واحد». كما أشار إليها ابن جنى تحت اسم «تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني» ومثل لها بالخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة (ابن جنى - بدون تاريخ ٢/ ١١٨)، وقد عرف الفخر الرازي الترادف بقوله: «هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد». قال: «واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدّ فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلاّ على شيء واحد لكن باعتبارين، أحدهما على الذات والآخر على الصفة» (السيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٢).

ويبدو أن من أقدم الكتب العربية التي حملت اسم الترادف كان كتاب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى عام ٣٨٤ هـ، وعنوانه «كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى» (Brockelmann, 1937 - 49, II, 189)، كما يبدو أن من أقدم من أطلقوا اسم الترادف على هذه الظاهرة أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي (ص ٤١، ٤٣).

وقد اختلف اللغويون العرب القدماء اختلافا واسعا في إثبات هذه الظاهرة أو إنكار وجودها في اللغة العربية:

أ - ففريق أثبت وجود الظاهرة، واحتج لوجودها بأن جميع أهل اللغة «إذا أرادوا أن يفسروا اللب، قالوا: هو العقل، أو الجرح، قالوا: هو الكسب، أو السكب، قالوا: هو الصبّ. وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك» (العسكري ١٩٧٣ ص ١٦). وقريب منه ما نقله ابن فارس عن مثبتي الترادف وهو قولهم: «لو كان لكل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك لأنا نقول في: لا ريب فيه: لا شك فيه. فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة خطأ» (ابن فارس ١٩٦٣ ص ٩٧؛ والسيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٤).

ويروي أصحاب الترادف قصصا وأحاديث للبرهنة على رأيهم. فمن ذلك ما رووه من أن النبي ﷺ قد وقعت من يده السكين، فقال لأبي هريرة: ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ثم قال بعد أن كرر الرسول له القول ثانية وثالثة: آلمدية تريد؟ فقال له الرسول: نعم.. ويروون أن ابن خالويه كان يفتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما.. (السيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٥، وأنيس ١٩٦٥ ص ١٧٦) كما أنه ألف كتابا في أسماء الأسد، وآخر في أسماء الحية

(السيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٧)، وقد جمع في الأول خمسمائة اسم، وفي الثاني مائتي اسم (ابن فارس ١٩٦٣ ص ٤٤).

ومن المثبتين للترادف كذلك الرماني الذي ألف «كتاب الألفاظ المترادفة» وقسمه إلى نحو ١٤٠ فصلا خصص كل فصل لكلمات ذات معنى واحد. ومن أمثلته التي ذكرها: وصلته ورفدته وحبوته وأعطيته.. ومنها: السرور والحبور والجذل والغبطة والفرح. ومنهم كراع في «المنتخب» ومن أمثلته التي ذكرها: الحنج والبنج والجنث والنجار والجرثومة والأرومة لأصل الإنسان. وزوج المرأة وحليلها وبعلها وعشيرها... الخ (المنتخب - مخطوط ص ٢، ٥). وقد عقد كراع في كتابه «المنتخب» بابا بعنوان: «باب إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان» وذكر من ذلك قوله عزوجل: لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. والأمت العوج. ومن المثبتين له كذلك الفيروزابادي الذي ألف كتابا في أسماء العسل (السيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٧). ومنهم الفخر الرازي الذي يقول: «ومن الناس من أنكره وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات. إما لأن أحدهما اسم الذات، والآخر اسم الصفة، أو صفة الصفة.. والكلام معهم إما في الجواز ولا شك فيه. أو في الوقوع إما في لغتين وهو أيضا معلوم بالضرورة، أو من لغة واحدة كالحنطة والبر والقمح. وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة» (السيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٣).

ويبدو أن مثبتي الترادف كانوا فريقين. ففريق وسّع في مفهومه ولم يقيد حدوثه بأي قيود. وفريق آخر كان يقيد حدوث الترادف ويضع له شروطا تحد من كثرة وقوعه. ومن الأخيرين الرازي الذي كان يرى قصر الترادف على ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت. فليس من الترادف عنده السيف والصارم، لأن في الثانية زيادة في المعنى. ومنهم الأصفهاني الذي كان يرى أن الترادف الحقيقي هو ما يوجد في اللهجة الواحدة. أما ما كان من لهجتين فليس من الترادف (أنيس ١٩٦٥ ص ١٧٥).

ب - وهناك فريق آخر كان ينكر الترادف وعلى رأسهم ثعلب وأبو علي الفارسي وابن فارس وأبو هلال العسكري. يقول ابن فارس: «الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات.. وكذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، ففي كل منها ما ليس في سواها. وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب» (ابن فارس ١٩٦٣ ص ٩٦، ٩٧؛ والسيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٤). وكان أبو علي الفارسي يقول: لا أحفظ للسيف إلا اسما واحدا، وهو السيف. وحين سئل: فأين المهند والصارم وكذا وكذا.. قال: هذه صفات (أنيس ١٩٦٥ ص ١٧٦).

وقد ألف أبو هلال العسكري كتابه «الفروق في اللغة» لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعي ترادفها. وقد بدأ كتابه بعنوان «باب في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعنى في كل لغة..» قال فيه: «الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة. وإذا أشير إلى

الشيء مرة واحدة فعرف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة. وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد. فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا. فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه... وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد؛ لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه» (ص ١٣ - ١٥).

وهؤلاء الذين أنكروا الترادف أخذوا يلتمسون فروقا بين الألفاظ التي تبدو مترادفة. ومن ذلك تفريق أبي هلال العسكري بين المدح والثناء بقوله: إن الثاني المدح المكرر، وبين المدح والإطراء بقوله: إن الثاني هو المدح في الوجه. وكذلك تفريقه بين القديم والعتيق، وبين الخلود والبقاء، وبين الحب والود، وبين الإرادة والمشيئة، وبين الغضب والغيظ، وبين الغضب والسخط، وبين السخاء والجود، وبين الجود والكرم.. ومن ذلك تفريق ابن فارس بين القعود والجلوس، وبين الرقاد والنوم والهجوع، وبين المضيّ والذهاب والانطلاق، وبين المائدة والخوان، وبين الكأس والكوب والقدح، وبين الكوب والكوز.. (ابن فارس ١٩٦٣ ص ٩٦ - ٩٨). ويحوي كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي أمثلة كثيرة للفروق بين الألفاظ التي تبدو مترادفة. ومن ذلك الفرق بين الإثم والوزر، وبين الذنب والمعصية والزلة، وبين الجرم والذنب والعصيان.. (الكفوي ١٩٧٤ ١/ ٤٢).

ويقول أصحاب هذا الرأي ردا على مخالفيهم: «نحن نقول إن في قعد معنى ليس في جلس. ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض. ونقول لناس من الخوارج قَعَد، ثم نقول: كان مضطجعا فجلس. فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس. لأن الجَلْس المرتفع، والجلوس ارتفاع عما هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كله». (ابن فارس ١٩٦٣ ص ٩٧؛ والسيوطي - بدون تاريخ ١/ ٤٠٤).

ثانيا: موقف المحدثين

فإذا انتقلنا إلى المحدثين نجد بينهم الخلاف نفسه الذي حدث بين القدماء وإن كنا نجد هذه المرة محاولات صادقة عند من أثبتوا الترادف لتعريفه وتقسيمه وتوضيحه توضيحا تاما.

والقضية أكثر تشعبا عند المحدثين وأشد إثارة للجدل، لارتباطها من ناحية بتعريف المعنى، ومن ناحية أخرى بنوع المعنى المقصود، وحول هذا وذاك تعددت الآراء واختلفت. ولهذا فلا بد أولا أن نتحدث عن هاتين النقطتين بشيء من الإيجاز:

تعريفات المعنى:

تتعدد تعريفات المعنى عند المحدثين تبعا لتعدد الاتجاهات في دراسة المعنى والزاوية التي ينظر منها اللغوي. ومن أهم هذه التعريفات:

١ ـ أ ـ الصورة الذهنية للشيء.
ب ـ العلاقة بين الرمز اللغوي والصورة الذهنية للشيء.
[النظرية التصورية]
٢ ـ أ ـ الشيء المشار إليه.
ب ـ العلاقة بين الرمز اللغوي والشيء الخارجي.
[النظرية الإشارية]
٣ ـ الموقف والاستجابة لمثير كلامي معين.
[النظرية السلوكية]
٤ ـ استعمال الكلمة في اللغة والدور الذي تؤديه في صحبة غيرها.
[نظرية السياق]
٥ ـ محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي.
[نظرية الحقول الدلالية]
٦ ـ تجمع من عناصر دلالية تمييزية ذات علاقة متبادلة.
[النظرية التحليلية]

أنواع المعنى:

تطلق كلمة «معنى» على عدة أنواع من المعاني، ولكننا سنكتفي بالمعاني الخمسة الآتية نظرا لأهميتها:

١ ـ المعنى الأساسي او الأولي او المركزي. وهو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة، وهي التفاهم ونقل الأفكار. وقد عرّفه بعضهم بأنه المعنى المتصل بالوحدة معجمية حينما ترد في أقل سياق اى حينما ترد منفردة (Nida, 1975, p. 130)

٢ ـ المعنى الإضافي أو الثانوي أو التضمني، وهو زائد على المعنى الأساسي، يستمد وجوده من المفاهيم الثقافية أو الاجتماعية، ويتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة. فمثلا كلمة «يهودي» تحمل معنى أساسيا وهو الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية، ولكنها تحمل في أذهان الناس مجموعة من المعاني الإضافية كالبخل والطمع والمكر والخديعة.

٣ ـ المعنى الأسلوبي. وهو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها، ومستواه الثقافي، والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها، وتخصصه المعين، ونوع اللغة الذي يستخدمه (لغة الشعر أو لغة النثر ـ اللغة الفصيحة أو العامية ـ اللغة المؤدبة أو السوقية..). فكلمتان مثل Father و daddy تتفقان في المعنى الأساس، ولكن الثانية تملك مشاعر عاطفية أكثر، ويقتصر استعمالها على المستوى الشخصي الحميم. وكلمات مثل Sack و bag و poke تملك نفس المعنى الأساس ولكنها تعكس اختلافا في بيئة المتكلم (Southworth, 1974 P. 183 - 4; Nida, 1975, P. 98 - 9). ومثل هذا يمكن أن يقال عن الكلمات التي تطلق على الزوجة في العربية الحديثة (عقيلته ـ حرمه ـ امرأته...).

٤ ـ المعنى النفسي. وهو يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد. فهو بذلك معنى فردي ذاتي، وبالتالي يعتبر معنى مقيدا بالنسبة لمتحدث واحد فقط، ولا يتميز بالعمومية ولا التداول بين الأفراد جميعا.

ويظهر هذا المعنى بوضوح في الأحاديث العادية للأفراد، وفي كتابات الأدباء، وأشعار الشعراء، حيث تنعكس المعاني الذاتية النفسية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة (عطية، ١٩٧٥ ص ٧٧).

٥ ـ المعنى الإيحائي. وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرا لشفافيتها. وقد حصر أولمان تأثيرات هذا النوع من المعنى في ثلاثة هي:

أ ـ التأثير الصوتي، وهو نوعان: تأثير مباشر، وذلك إذا كانت الكلمة تدل على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم ويسمى هذا النوع Primary Onomatopoeia. ويمكن التمثيل له بالكلمات العربية: صليل (السيوف)، ومواء (القطة)، والكلمات الإنجليزية crack و hiss و Zoom. والنوع الثاني التأثير غير المباشر ويسمى Secondary Onomatopoeia، مثل القيمة الرمزية للكسرة (ويقابلها i الإنجليزية) التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة مثل الكلمات الإنجليزية tip و bit والفرنسية petit.

ب ـ التأثير الصرفي ويتعلق بالكلمات المركبة [٢]، مثل handful و hot-plate, redecórate,

جـ ـ التأثير الدلالي، ويتعلق بالكلمات المجازية أو المؤسسة على المجاز أو أي صورة كلامية معبرة. (Ullmann, 1973, P 13 - 17)

الترادف وأشباه الترادف:

يميز كثير من المحدثين بين أنواع مختلفة من الترادف وأشباه الترادف على النحو التالي:

١ ـ الترادف الكامل (Genuine synonymy, أو complete synonymy, أو perfect synonymy, أو Full synonymy,) أو التماثل (Sameness)، وذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ولا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما. ولذا يبادلون بحريّة بينهما في كل السياقات. وسنعرض فيما بعد رأي المحدثين حول وجود هذا النوع في اللغة الواحدة أو عدم وجوده.

٢ ـ شبه الترادف (near synonymy, أو quasi synonymy, أو approximate synonymy, أو less - than - full synonymy)، أو التشابه (likeness)، أو التقارب (contiguity)، أو التداخل (overlapping). وذلك حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا لدرجة يصعب معه ـ بالنسبة لغير المتخصص ـ التفريق بينهما. ولذا يستعملها الكثيرون بلا تحفظ، مع إغفال هذا الفرق. ويمكن التمثيل لهذا النوع في العربية بكلمات مثل:

عام - سنة - حول. . وثلاثتها قد وردت في مستوى واحد من اللغة وهو القرآن الكريم. ويحمل على هذا النوع كثير من الكلمات التي توصف بالترادف مثل answer مع reply و ill مع sick و own مع Possess. (Nida, 1975, P. 17)

٣ - التقارب الدلالي (Semantic relation) ويتحقق ذلك حين تتقارب المعاني، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل. ويمكن التمثيل لهذا النوع بكلمات كل حقل دلالي[٣] على حدة، وبخاصة حين نضيق مجال الحقل ونقصره على أعداد محدودة من الكلمات. مثال هذا النوع من اللغة الإنجليزية: crawl - skip - hop - run - walk . . . التي تملك تقاربا في المعنى. فكلها تشترك في معنى الحركة من كائن حي يستعمل أرجله، ولكن عدد الأرجل وكيفية الحركة وعلاقة الأرجل بالسطح الملامس. . . يختلف من لفظ الى آخر (Nida, 1975, P. 18). كما يمكن التمثيل له من العربية بكلمتي حلم ورؤيا وهما من الكلمات القرآنية.[٤]

٤ - الاستلزام (entailment)، وهو قضية الترتب على. . ويمكن أن يعرف كما يأتي: س١ يستلزم س٢ إذا كان في كل المواقف الممكنة التي يصدق فيها س١ يصدق كذلك س٢. وعلى سبيل المثال: إذا قلنا: قام محمد من فراشه قبل الساعة العاشرة فإن هذا يستلزم: كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة[٥]. (Dillon, 1977, P. 5)

٥ - استخدام التعبير المماثل أو الجمل المترادفة (paraphrase)، وذلك حين تملك جملتان نفس المعنى في اللغة الواحدة[٦]. وقد قسّم Nilsen هذا النوع أقساما منها:

أ - التحويلي: وذلك بتغيير مواقع الكلمات في الجملة، وبخاصة في اللغات التي تسمح بحرية كبيرة، وذلك بقصد إعطاء بروز لكلمة معينة في الجملة بلا تغيير في المعنى العام لها. مثال ذلك:

دخل محمد الحجرة ببطء.
ببطء دخل محمد الحجرة.
الحجرة دخلها محمد ببطء.

ب - التبديلي، أو العكسيّ، وذلك مثل قولك:

اشتريت من محمد آلة كاتبة بمبلغ مائة دينار
باع محمد لي آلة كاتبة بمبلغ مائة دينار

فعلى الرغم من أنهما مختلفتان من الناحية الظاهرية فإنهما تشيران إلى الحادث نفسه في عالم الحقيقة، ولذا يقال إنهما جملتان مترادفتان، وإن كلا منهما «بارا فريز» للأخرى.

جـ - الاندماج المعجمي، وذلك مثل التعبير عن التجمع Covered with cement بكلمة واحدة هي: Cemented، أو عن التجمع to touch with the lips بكلمة واحدة هي: to kiss (Nilsen, 1975, P. 141 - 157.See also P. 21 - 22)

٦ ـ الترجمة (translation) وذلك حين يتطابق التعبيران أو الجملتان في اللغتين، أو في داخل اللغة الواحدة حين يختلف مستوى الخطاب، كأن يترجم نص علمي إلى اللغة الشائعة، أو يترجم نص شعري إلى نثري.

٧ ـ التفسير (interpretation) . يكون س تفسيرا لـ ص إذا كان س ترجمة لـ ص ، وكانت التعبيرات المكونة لـ س أقرب إلى الفهم من تلك الموجودة في ص. وعلى هذا فكل تفسير ترجمة، ولا عكس. وحيث إن درجة الفهم للغة تختلف من شخص لآخر فإن ما يعد تفسيرا لشخص قد لا يكون تفسيرا لشخص آخر (Mates, 1952, P. 113)

مفهوم الترادف الكامل:

يختلف مفهوم الترادف الكامل من لغوي إلى آخر حسب المنهج الذي اتبعه في تعريف المعنى، ونوع المعنى الذي يتحدث عنه. ومن التعريفات الكثيرة للترادف نقتبس ما يأتي:

١ ـ التعبيران يكونان مترادفين في لغة ما إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة من هذه اللغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة. (Mates, 1952 P. 119)

٢ ـ الكلمات المترادفة هي الكلمات التي تنتمي إلى النوع الكلامي نفسه (أسماء ـ أفعال) ويمكن أن تتبادل في الموقع بلا تغيير في المعنى أو التركيب النحوي للجملة (Lehrer, 1970, P. 11)

٣ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية التصويرية إذا كان التعبيران يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة. (Goodman, 1952, P. 67)

٤ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية الإشارية إذا كان التعبيران يستعملان مع نفس الشيء، بنفس الكيفية. (Goodman, 1952, p. 69)

٥ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية الإشارية إذا كان التعبيران متماثلين عن طريق اتصال كل منهما بنفس المثير والاستجابة.

٦ ـ الترادف عند أصحاب النظرية التحليلية يتحقق إذا كانت الشجرة التفريعية لإحدى الكلمتين تملك نفس التركيب التفريعي للأخرى، أو إذا اشترك اللفظان في مجموع الصفات الأساسية التمييزية. (Harris, 1973, P. 4)

٧ ـ الترادف تضمن من جانبين. (أ) و (ب) يكونان مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) و (ب) يتضمن (أ). (Lehrer, 1974, P. 23)

الترادف بين الإثبات والإنكار:

لا خلاف بين اللغويين المعاصرين في وجود الأنواع الستة (من رقم ٢ ـ ٧) السابق ذكرها تحت أنواع الترادف وأشباه الترادف. أما الخلاف في الحقيقة فيتعلق بالترادف الكامل أو التماثل:

فأغلبية اللغويين على إنكار هذا النوع، كما يتبين من النصوص الآتية:

١ ـ يقول Bloomfield : «إننا ندعي أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتا مختلفا عن الأخرى. وما دامت الكلمات مختلفة صوتيا، فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك. وعلى هذا فنحن ـ في اختصار ـ نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي» (1962, P. 145) . ويقول Harris موضحا رأي بلومفيلد: إنه في إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف. فالاختلاف الصوتي لا بد أن يصحبه اختلاف في المعنى. فكل كلمة من الكلمات الآتية تختلف عن الأخرى في بعض ملامح المعنى الأساسية أو الإضافية:

(1973, P. 6,7) speedy - rapid - swift -fast-quick

٢ ـ ويقول F.H. George : «إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النواحي، ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معا» (1964, P. 110)

٣ ـ ويقول مؤلفا Foundations of Linguistics : «يقول اللغويون المحدثون إنه لا يوجد ترادف كامل في اللغة. فإذا اختلف لفظان صوتيا فلا بد أن يختلفا دلاليا. فاللفظان buy و purchase متقاربان دلاليا ولكنهما ليسا متطابقين. ولذا لا يمكن تبادلهما بصورة كاملة» (Southworth,1974, P. 181)

٤ ـ وتقول Lehrer : «إذا اشترطنا التماثل التام بين المفردتين فلن يكون هناك مترادفات. ولكن قد يكون هناك عدد من المفردات المتشابهة إلى حد كبير في المعنى، ويمكن تبادلهما بصورة جزئية» (1974, P. 23)

٥ ـ ويقول Goodman : «لا يوجد لفظان يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تغيير الدلالة الحقيقية. وعلى هذا فلو ادعينا ترادف كلمتين، فإن عدم إمكانية تبادلهما interreplaceability في بعض السياقات يمكن أن يقدم الدليل على أن الكلمتين لا تحملان نفس المعنى (1952, P 73) وينقل عنه Lappin قوله: «إذا اشترطنا في الترادف أن أي تعبيرين مترادفين يكونان قابلين للتبادل في كل السياقات. . فمن السهل إثبات أنه لا يوجد تعبيران في أي لغة يمكن أن يكونا مترادفين (1976, P. 279)

٦ ـ ويقول Stork : «كل الكلمات تملك تأثيرا عاطفيا، كما تملك تأثيرا إشاريا. ولهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة» (1974, P. 118)

ولكن هناك قلة قليلة منهم تسمح بوجوده، إما مع تضييق شديد، أو مع شيء من التجوز، أو بشروط خاصة:

فمن النوع الأول Ullmann الذي يقول: «إنه يكاد يكون بديهيا أن الترادف الكامل غير موجود أو نادر الحدوث جدا. إنه ترف لا يمكن للغة أن تقدمه بسهولة. وفقط تلك الكلمات التي يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى في أي سياق من غير فرق على الإطلاق ـ تلك الكلمات فقط

هي التي يمكن أن تعد مترادفة. (1967, P. 108 - 9) ويقول: «إذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة. حيث إن الغموض الذي يعتري المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه. وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد» (بدون تاريخ، ص ٩٨).

ومن النوع الثاني الفريق الذي قالت عنه Lehrer : «هناك فريق يقول بوجود الترادف لأنه يكتفي بصحة تبادل اللفظين في معظم السياقات مثل: mother و mama. والخلاف الأسلوبي بينهما لا يمنع ترادفهما (1970, P. 15)

ومن النوع الثالث إبراهيم أنيس الذي اشترط لتحقق الترادف:

أ ـ اتحاد العصر. ولذا فهو لا يوافق من نظروا إلى كل عصور اللغة نظرة واحدة. ويرى أن مرور الزمن قد يخلق فروقا بين الألفاظ، كما قد يؤدي إلى تناسي هذه الفروق. فمن النوع الأول: الكرسيّ والعرش اللذان استعملا مترادفين في القرآن الكريم، وقد اختلف معناهما الآن. ومن الثاني: المهنّد والمشرفيّ واليمانيّ. فقد كان يلحظ في كل منهما معنى لا يلحظ في الأخرى. فالمهند مصنوع في الهند وهو صلب رقيق ذو شكل معين. والمشرفي صنع في دمشق، ومن نوع سميك ومستقيم. واليمانيّ... وبمرور الزمن استعمل الثلاثة بمعنى السيف الجيد وكفى.

ب ـ اتحاد البيئة اللغوية، أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات. ولا يصح أن نلتمس الترادف ـ كما فعل الأقدمون ـ من لهجات العرب المتباينة، حين عدوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة.

جـ ـ الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة. والحكم في ذلك ليسوا الأدباء ذوي الخيال الخصب، وإنما جمهور الناس ومتوسطوهم.

د ـ اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى. فليس من الترادف أزّ وهزّ، ولا أصر وهصر، ولا كمح وكبح..

ومن أمثلة الترادف التي حققت الشروط عنده: آثر وفضل ـ حضر وجاء ـ بعث وأرسل.. والاستعمال القرآني يشهد لذلك:

فقد قال تعالى: تالله لقد آثرك الله علينا، وقال: وأني فضلتكم على العالمين
كما قال تعالى: حتى إذا حضر أحدهم الموت، وقال: حتى إذا جاء أحدكم الموت.
كما قال تعالى: بعث فيهم رسولا، وقال فأرسلنا فيهم رسولا.[٧] (انظر: أنيس ١٩٦٥، ص ١٧٨ وما بعدها)

تعليق:

١ ـ يتبين مما سبق أننا إذا أردنا بالترادف التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظتين في جميع السياقات من غير أن يوجد أي فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي)، ونظرنا إلى اللفظين في داخل اللغة الواحدة، وفي مستوى لغوي واحد، وخلال فترة زمنية واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة ـ فالترادف غير موجود على الإطلاق وعلى هذا فلا ترادف بين المجموعات الآتية:

أ ـ حامل وحبلى، فالأولى راقية مؤدبة، والثانية مبتذلة. (لاحظ أن القرآن الكريم اقتصر على استعمال الأولى).

ب ـ الكنيف والمرحاض ودورة المياه والتواليت والحمام والكابينيه.. فلكل منها بيئته الخاصة، إلى جانب تفاوتها في درجة التلطف واللامساس.[٨]

جـ ـ عقيلته وحرمه وزوجته ومراته..

فالأولى رسمية لا تستخدم إلا مع كبار الشخصيات، والثانية أقل رسمية، والثالثة عربية فصيحة، والرابعة عامية... بالإضافة الى ما يحمله كل لفظ من دلالات اجتماعية وثقافية بالنسبة للمتكلم.

ولخص Collinson الفروق التي تقع بين اللفظين اللذين يدعي ترادفهما فيما يأتي:

أ ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر عمومية أو شمولا من الآخر (بكى ـ انتحب)[٩]
ب ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر حدة وقوة من الآخر (أنهك ـ أتعب).
جـ ـ أن يكون أحد اللفظين مرتبطا بالانفعال أو الإثارة أكثر من الآخر (أتون ـ موقد).
د ـ أن يكون أحد اللفظين متميزا باستحسان أدبي أو استهجان في حين يكون الآخر محايدا (تواليت ـ مرحاض ـ دورة المياه).
هـ ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر تخصصية من الآخر (حكم ذاتي ـ استقلال).
و ـ أن يكون أحد اللفظين مرتبطا باللغة المكتوبة وأدبيا أكثر من الآخر (تِلْو ـ بعد).
ز ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر عامية أو محلية أو لهجية من الآخر (لحّام ـ جزار).
ح ـ أن يكون أحد اللفظين منتميا إلى لغة الأطفال، أو من يتحدث إلى الأطفال بخلاف الآخر (مَمّ ـ كُلْ).

بل أكثر من هذا، هناك من قدم قائمة بالفروق بلغت خمسة وعشرين فرقا، وعرض الفروق أمام ندوة السيمانتيك التي أقيمت في Mainz في ديسمبر ١٩٦٦
(Ullmann, 1973, 57 - 8; Harris, 1973, P. 14 - 15)

وفي الحق لقد تنبه بعض اللغويين القدماء إلى نفس الفكرة وإن كانوا قد أشاروا إليها في إجمال حين فرقوا بين المترادف والمتكافىء، وخصوا الثاني بالكلمات التي تدل على ذات واحدة ويختص كل منها بمزيد معنى. قالوا: فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات (السيوطي - بدون تاريخ، ١/ ٤٠٥).

ونحن على سبيل المثال - لو استعرضنا الأسماء التي تلحق بالأسد لوجدنا كثيرا منها من قبيل الصفات التي يشير كل منها إلى معنى محدد:

فالضيغم: مأخوذ من الضغْم وهو العضّ الشديد.
والضرغام: الضاري الشديد المقدام من الأسود.
والغضنفر: الغليظ الخلق الكثير الشعر.
والعميثل: الضخم الشديد العريض، أو الثقيل الخطو كأن فيه بطئا من عظمة.
والقسورة: من القسر، وهو القهر والغلبة والعزة.
والهصور: من الهَصْر، وهو جذب الشيء وكسره.
والرئبال أو الريبال: من الجرأة والإقدام.
والميّاس: من الميس، وهو التبختر والاختيال.
والهرّاس: من الهرس، وهو الدق والكسر.
وهكذا... (ابن منظور - بدون تاريخ - المواد السابقة)

٢ - أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساس من بين سائر المعاني، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات، أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين، أو في أكثر من فترة زمنية واحدة، أو أكثر من بيئة لغوية واحدة، فالترادف موجود لا محالة.

ويمكن التمثيل لذلك بالكلمات التي سبق استبعادها في التعليق الأول، وبالأمثلة الآتية كذلك:

ا - الكلمتان وصل وجاء تنتظمان كلتاهما مع كلمات مثل: القطار - محمد - الخطاب.. ولكنهما تستقلان في سياقات أخرى. فنحن نقول: وصل من سفره (ولا نقول جاء). ونقول جاء الربيع (أو أتى الربيع) ولكن لا نقول: وصل الربيع.

ب - كلمتا strong و powerfulتردان مع كلمة argumentولكن الأولى تأتي مع كلمة tea مثلا والثانية مع كلمة carمثلا.

جـ - كلمتا motor و engineمتطابقتان في مكوناتهما التشخيصية والإضافية إذا كنا نتحدث عن القوة المحركة في السيارة. ولكن حينما تتحول الطاقة إلى البخارية والكهربائية لا يترادف اللفظان. إذ ترتبط الأولى بالطاقة الكهربائية an electric motor والثانية بالطاقة البخارية a steam engine كما يمكن للحجم أن يتدخل للتفريق بينهما (الكبيرة: engine ، والصغيرة نسبيا: motor).

(Nida, 1975, P. 99 - 100)

وأمثلة الترادف بين اللغات كثيرة. ولعلها النقطة الوحيدة التي يمكن أن يقع فيها التطابق التام أو الترادف الكامل. ومع هذا فهناك مزالق كثيرة للحكم بالترادف بين لفظتين في لغتين كما تدل الأمثلة الآتية:

ا ـ كلمة stone الإنجليزية ترادف كلمة حجر العربية. ولكن تتبع السياقات التي ترد فيها كل كلمة تجعلنا نتردد في الحكم بالترادف. فالإنجليزية تقول: - date stone plum stone - precious stone - kidney stone. ولكن المقابل العربي: (حجر) لا يأتي إلا في الجملة الأولى فنحن نقول: حجر كريم، ولكن نقول: بذرة البرقوق ـ نواة البلحة ـ حصوة الكلى.

ب ـ كلمة cut الإنجليزية ترادف كلمة يقطع العربية. ولكن الكلمة الإنجليزية تأتي في مصاحبة كلمات مثل hair - cheese - finger-speech - flowers ـ ، في حين أن مقابلها العربي: يقطع لا يأتي في كل هذه التوزيعات. فنحن نقول قطع حديثه ـ قطع الجبن، ولكن نقول: جرح إصبعه ـ قطف الأزهار ـ قص شعره.

وينطبق ما قلناه عن اللغات على اللهجات في داخل اللغة الواحدة كذلك.

٣ ـ كما أن الترادف يمكن أن يتحقق بالنسبة للكلمات التي تبدو متقاربة جدا ويعجز الشخص عن تحديد الفروق بينها. ويكثر هذا حين لا يكون أحد اللفظين ضمن الكلمات المستخدمة في مفردات الشخص. قارن مثلا الكلمات الإنجليزية الآتية: - saunter - meander - stroll وكلها لأنواع من المشي. وحتى تفسيرات المعاجم لها متداخلة وغير متميزة. ولهذا ينظر اليها معظم المستعملين الإنجليز على أنها مترادفة. ومن يدعي وجود اختلاف بينها لا يستطيع أن يحدده إذا سئل عنه. وإذا حدد شخص ما يراه من ملامح تمييزية لكل لفظ فإن آخر قد يخالفه (Nida, 1975, P. 102 - 3)

ومثل هذا يمكن أن يقال عن الثنائيات العربية الآتية:

يثبت ويقفز ـ يجري ويعدو ـ مضيء ومنير ـ عال ومرتفع. كما يمكن أن يقال عن الكلمات الأربع: عام ـ سنة ـ حول ـ حجة، وكلها وردت في القرآن الكريم بمعنى واحد، وتخبط اللغويون والمفسرون في التماس الفروق بينها دون جدوى.

٤ ـ ويمكن أن يتحقق الترادف كذلك عند أصحاب النظرية التحليلية الذين يعرفونه بأنه اشتراك اللفظين في مجموع الصفات التمييزية الأساسية. لأن ما عدا مكونات المعنى الأساس لا تعد من الصفات التمييزية الأساسية، ولذا تستبعد عند التحليل. فالمكونات الأساسية لكلمة «أب» هي هي مكونات «والد» و «داد» وغيرها.

٥ ـ ولا ننسى أخيرا أن كثيرا من الكلمات لا شفافية فيها، وهي ذات طبيعة معتمة على حد تعبير أولمان. ولذا فهي تخلو أو تكاد تخلو من أي معان إضافية أو إيحائية. ومثل هذه يسهل التبادل بينها في الموقع الواحد دون حرج، وذلك مثل كلمات:

وراء وخلف ـ قدام وأمام ـ غرفة وحجرة ـ ساحة وفناء..

الهوامش:

(١) ممن تناولوا القضية من وجهة نظر القدماء: السيوطي في «المزهر» ١/ ٤٠٢ وما بعدها، وعلى الجارم في مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٣٥ في مقال بعنوان «الترادف» وإبراهيم أنيس في كتابه: «في اللهجات العربية» ص ١٧٤ وما بعدها، والعسكري في صدر كتابه «الفروق في اللغة»، وكمال بشر في حواشي ترجمته لكتاب «دور الكلمة في اللغة» ص ١٠٥ وما بعدها وبيلكين في مقالة بعنوان «حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى (ترجمة جليل كمال الدين) مجلة المورد العدد الأول ١٩٧٤ - ص ٥٩ وما بعدها.

(٢) ومثلها الكلمات المنحوتة كما في الكلمة العربية صهصلق (من: صهل وصلق)، وبحتر للقصير (من: بتر وحتر)، وطلبق (من: أطال الله بَقاءك)، وتعبشم الرجل (إذا تعلق بسبب من أسباب عبد شمس بحلف أو جوار أو ولاء) - انظر ابن فارس (١٣٦٦ هـ) أقسام ما زاد على ثلاثة، والسيوطي - بدون تاريخ، ١/ ٤٨٢ وما بعدها.

(٣) انظر في مفهوم الحقل الدلالي مقالنا: نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية بالعدد الثالث عشر من مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت.

(٤) بتتبع الاستعمالات القرآنية لهما تبين أن القرآن قد اقتصر في استعماله للأولى على معنى الأضغاث المشوشة، والهواجس المختلطة، وللثانية على معنى الرؤيا الصادقة (انظر: بنت الشاطىء، ١٩٧١، ٨/ ١/ ٢٣)

(٥) يختلف هذا عن الاستلزام من الجانبين، فهو حينئذ يختص باسم التماثل مثل الجملتين: انتحر على - قتل على نفسه، أو الجملتين: ليس كل شخص حضر - بعضهم لم يحضر (انظر: Dillon, 1977, P. 6)

(٦) سمى بعض القدماء هذا النوع بالترادف ومثل له باصلاح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق.. وأطلق على ما سميناه بالترادف اسم التوارد (انظر السيوطي - بدون تاريخ - ١/ ٤٠٧)

(٧)للدكتورة بنت الشاطىء رأى في وقوع الترادف في القرآن الكريم إذ تنفيه قائلة: «ولقد شهد التتبع الاستقرائي لما درست من ألفاظ القرآن الكريم أنه ينفي الترادف إذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن أن يؤديها لفظ سواه». ومع ذلك اعترفت بقصورها عن لمح سر الدلالة لبعض ألفاظ تبدو مترادفة (١٩٧١، ٨/ ١/ ٢٣، ٢٩)

(٨) توجد في كل اللغات حساسية نحو ألفاظ ربما ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة. ولذا تتجنبها وتستعمل بدلها ألفاظا أخرى أقل صراحة. ويوصف اللفظ المتروك أو المقيد الاستعمال بأنه من ألفاظ «اللامساس» taboo، ويوصف اللفظ المفضل بأنه من باب التلطف في التعبير euphemism.

(٩) قمت باستبدال أمثلة عربية بأمثلة المؤلف الإنجليزية.

المصادر العربية :

١ ـ أنيس، إبراهيم
في اللهجات العربية ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ثالثة ١٩٦٥.

٢ ـ أولمان، ستيفن
دور الكلمة في اللغة ـ ترجمة كمال بشر ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

٣ ـ بنت الشاطىء، عائشة عبد الرحمن
من أسرار العربية في السياق القرآني ـ مجلة اللسان العربي بالرباط (١٩٧١) ـ مج ٨ جـ ١ ص ١١ ـ ٣٧

٤ ـ ابن جنى، أبو الفتح عثمان
الخصائص ـ تحقيق محمد علي النجار ـ بيروت ـ ط ثانية عن طبعة دار الكتب المصرية بدون تاريخ.

٥ ـ سيبويه، عمرو بن عثمان
الكتاب ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣١٦ هـ .

٦ ـ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين
المزهر ـ تحقيق محمد أحمد جاد المولي وآخرين ـ القاهرة ـ عيسى البابي الحلبي ـ بدون تاريخ.

٧ ـ العسكري، أبو هلال
الفروق في اللغة ـ بيروت ـ دار الأفاق الجديدة ـ أولى ١٩٧٣.

٨ ـ عطية، نوال محمد
علم النفس اللغوي ـ القاهرة ـ الأنجلو ـ ظ أولى ١٩٧٥

٩ ـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد
* الصاحبي في فقه اللغة ـ تحقيق مصطفى الشويمي ـ بيروت ـ بدارن للطباعة والنشر ١٩٦٣.
* المقاييس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ أولى ١٣٦٦ هـ .

١٠ ـ كراع، علي بن الحسن الهنائي
المنتخب ـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٨٥٨ لغة.

١١ ـ الكفوي، ابو البقاء أيوب بن موسى
الكليات ـ تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ـ دمشق ١٩٧٤

١٢ ـ ابن منظور، جمال الدين محمد بن المكرم
لسان العرب ـ بيروت ـ دار لسان العرب ـ بدون تاريخ

المصادر الأجنبية :

Blomfield, L.
Language. London, 1962.

Brockelmann, C.
Geschichte der arabischen litteratur. Leiden., 1937 - 49.

Dilon, G.L.
Introduction to Contemporary Linguistic Semantics. U.S.A., 1977.

George, F.H.
Semantics, Teach Yourself Books. 1964.

Goodman, N.
On Likeness of Meaning, in Semantics and the philosophy of language. ed L. Linsky, U.S.A. 1952.

Harris, R.
Synonymy and Linguistic Analysis. Oxford, 1973.

Lappin, S.
"Goodman and Katz on Synonymy," Philosophical Studies, Vol. 29 N^{0}. 4, April 1976.

Lehrer, A.
"Meaning in Linguistics," in Theory of Meaning. ed, Adrienne and Keith Lehrer. U.S.A., 1970.

Semantic Fields and Lexical Structure, Amsterdam - London, 1974.

Mates, B.
"Synonymity, in Semantics and Philosophy of Language ed L. Linsky U.S.A. 1952.

Nida, E.A.
Componential Analysis of Meaning. Mouton, 1975.

Nilsen, Don L.F. and Nilsen, A.P.
Semantic Theory, UU.S.A., 1975.

Southworth, F.C. and Daswani, C.J.
Foundations of Linguistics. U.S.A., 1974.

Stork, F.C. and Widdowson, J.D.
Learning about Linguistics. Hutchinson, 1974.

Ullmann, Stephen
The Principles of Semantics, G.B., 1967.
Meaning and Style. Oxford, 1973.